الفصل الأول

لمن المسجد؟

هو لله سبحانه وتعالى، وهو أفضل بقاع الأرض، ومكان تَنَزُّلِ الرَّحَمات، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾[1].

وأما تسمية المسجد باسم فلان أو فلان، فمن باب التعريف التوضيحى وللتمييز بين المساجد؛ نظرًا لكثرتها وتعددها فى البلد الواحد.

فضل بناء المساجد:

قال الله تعالى: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴾[2].

والرفع إما حقيقى، وهو العلو بالبناء، وإما مجازى، أى: إظهار شرفه، وتعظيم مكانه، ودعاء الناس إليه لأداء الصلاة فى أوقاتها الخمس جماعة مع المسلمين؛ ليزداد عددهم، ويكثر جمعهم، ويتم تآلفهم، وتتوثق عُرَا المحبة فى نفوسهم. ولما كانت المساجد بيوت الله فهى تشع نورًا لأهل السماء، كما أن النجوم تشع نورًا لأهل الأرض. روى ابن حبان عن أبى ذَر ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ بَنَى لله مسجدًا قَدْرَ مَفْحَصِ قَطَاةٍ بنَى الله له بيتًا

---

(١) سورة الجن ـ الآية ١٨.

(٢) سورة النور ـ الآية ٣٦.

فى الجنة»[1]. وروى ابن خزيمة عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَنْ حَفَرَ بئرَ ماءٍ لم يشرب منها كبدٌ حرَّى من جن ولا إنس ولا طائر إلا آجَره الله يوم القيامة. ومنْ بَنَى لله مسجدا كَمَفْحَصِ قطاة أو أَصْغَر، بنى الله له بيتًا فى الجنة». . . وروى ابن ماجه عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ مما يَلْحَقُ المؤمنَ مِنْ عَمَلِه وحَسَنَاتِه بَعْدَ مَوْتِه عِلْمًا عَلَّمَه ونَشَرَهُ، أو وَلَدًا صَالِحًا تَرَكَه أو مُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السَّبِيل بناه، أو نهرًا أجراه، أو صَدَقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته تلحقه من بعد موته».

إن المكان الذى يخصص للصلاة فى الطرق العامة، وكذا المصليات التى تحدد أماكنها فى الحقول، وعلى شواطئ الأنهار بمعرفة إخواننا الزُّرَّاع، وكذلك ما يفرشه العمال فى المصانع بجوار أماكن عملهم، كل هذا وأمثاله لعامله أجرٌ، وله ثواب على قدر نيته، ومن هنا نهيب بإخواننا فى كل مكان أن يكون عندهم ما يفرش لتُقَام عليه الصلاة عند حلول وقتها، إنْ كان المسجد بعيدًا والعمل قائمًا، حتى لا تضيع ويدخل وقت الصلاة الأخرى، ويكون الإنسان من السَّاهين عنها، المضيعين وقتها، المهملين فى أدائها، وبذا يدخل تحت قول الحق: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾[2]. وتأمل قوله سبحانه: عن، ولم يقل: فى.

وروى الترمذى عن أنس ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ بَنَى لله مَسْجِدًا صَغِيرًا أو كَبِيرًا بَنَى اللهُ له بَيْتًا فى الجنة».

---

(١) مفحص القطاة: موضع تبيض فيه القطاة، وهى طائر. وهذا محمول على المبالغة؛ لأن المفحص لايكفى للصلاة، أو محمول على أن جماعة يشتركون فى بناء مسجد، وكل واحد يشترك بقدرٍ قليل فله على ذلك ثواب عظيم وأجر كبير ﴿وما تُقَدِّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله﴾.

(٢) سورة الماعون ـ الآيتان: ٤ ، ٥.

يُلْقهَا فى المسْجد» أخرجه أحمد. ورواية البيهقى: إذا وجد أحدكم القملة وهو يصلى فلاَ يقتلها ولكنْ يَصُرُّهَا حتى يصلى. فإذا خرج الإنسان خارج المسجد طرحَها.

ويجدر بكل مسلم مؤمن يعلم أنه سيلقى الله ويحاسبه على ما فعله فى حياته أن يعمل فى صيانة المسجد وعدم وضع الأذى بجواره، ونلفت النظر إلى تلك الأكوام من التراب أو القمامة التى توضع أمام المسجد، وتتطاير مع الهواء وتدخل إلى المسجد وحَرَمه؛ فإن هذا يجلب السخط على أهل الحى بأجمعه وذلك فعل بعض من لاخَلاقَ لهم واتخاذهم جدران المسجد ستارًا لقضاء أمور كريهة، أو فعل أشياء لا ترضى صاحب الذوق السليم، فإننا نهيب بكل مؤمن أن يكون لسان صدق فى الدعوة إلى الله، والنهى عن كل ما يفسد جمال المسجد، حتى يظهر مِنْ داخله ومِنْ أمامه بصورة مشرقة.

هذا، ويلاحظ أن سير المواصلات ساعة صلاة الجمعة والإمام يخطب وهى تستعمل آلة التنبيه بصورة تشوش على المصلين وتقطع على الداعية أفكاره - إنْ كان مرتجلاً - يلاحظ أن ذلك من الأمور المحرمة المنهى عنها، ففى الحديث الذى رواه أحمد عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول اللّه ﷺ قال: «منْ تكَلّمَ يومَ الجمعة والإمَامُ يَخْطُبُ فهو كَمَثَلِ الحمارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا. والذى يقولُ له: أَنْصِتْ لَيْسَ له جُمعة».

وفى حديث أبى هريرة - رضى الله - عنه الذى رواه ابن ماجه، أن النبى ﷺ قال: «إذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يوم الجمعة: أَنْصِتْ وَالإمَامُ يَخْطُبُ فَقَدْ لَغَوْتَ»؛ لهذا نهيب بكل مسئول يملك أن يقدم خدمة لدينه أن يبادر بسن قوانين توقف هذا التيار الذى يفسد رَوْعة هذا اليوم العظيم، خاصة فى تلك الساعة التى لا يصادفها عبد مؤمن يدعو اللّه إلا استجاب له.

ويُستحب تبخير المسجد بالبخور، وفرشه، وتعليق القناديل والمصابيح به، وأول من فعل ذلك عمر بن الخطاب - رضى اللّه عنه - ولما رأى على بن أبى طالب - كَرَّمَ اللّه وجهه - اجتماع الناس فى المسجد للصلاة والقناديل تزهر وكتاب اللّه يُتْلَى قال: «نَوَّرْتَ مَساجِدَنَا نَوَّرَ قَبْرَكَ يَابْنَ الخطَّاب».

إن الإسلام يتسم بالنظافة، وهى شعيرة من شعائره، ولما كان المسجد هو

مكان اجتماع المسلمين فعليهم أن يعملوا على تهيئته، ويتأكَّدُ كنس المسجد وتنظيفه، كل يوم ولقد كان رسول الله ﷺ يتبع غبار المسجد بجريدة، ولما كان هو القدوة والمعلم، فقد أخبرنا هذا الصادق الأمين الذى لاينطق عن الهوى، صلوات اللّه وسلامه عليه ـ فيما رواه الترمذى عن أنس قال ـ قال رسول اللّه ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَىَّ أُجُورُ أُمَّتِى، حَتَّى القَذَاة يُخْرِجُهَا الرجل من المسجد». أى: منْ أخرجَ الأشياء التى يتأذى منها المصلونَ له أجر عظيم، ومن أدخل إلى المسجد ما يتأذى منه المصلون عليه وِزْرٌ، وله عذاب عظيم.

كما أن النبى ﷺ كرَّمَ امرأة تكريمًا عظيمًا؛ لأنها كانت تخدم المسجد، وتقوم على نظافته وإخراج التراب منه، ففى الحديث الذى رواه أبو الشيخ الأصبهانى، عن عبيد اللّه بن مرزوق، قال: «كانت امرأة بالمدينة تَقُمُّ المسْجِدَ ـ أى تكنسه ـ فماتت، فلم يَعْلَمْ بها النبى ﷺ، فَمرَّ عَلَى قَبْرِهَا فَقَالَ: ما هَذَا القَبْرُ؟ فقالوا: قَبْرُ أُمِّ محْجَن. قَالَ: التى كَانَتْ تَقُمُّ المسْجِدَ؟ قالوا: نَعَمْ، فَصَفَّ النَّاسَ فَصَلَّى عَلَيْهَا، ثم قال ـ مخاطبًا إيَّاها: أَىُّ العَمَلَ وَجَدْت أَفْضَلَ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، أَتَسْمَعُ؟ قَالَ: ما أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ منْهَا. فَذَكَرَ أنها أَجَابَتْهُ: قمُّ المسجد ـ أى ـ كَنْسُ المسْجد ـ والعَمَلُ على نَظَافَته وَطَهارَته». وأى تكريم أفضل من هذا؟ رسول اللّه ﷺ يصف الناس على قبرها ويصلى عليها، ويترحم، ويدعو لها بالخير والرحمة، إن هذا لهو الفضل والتكريم، ولمثْلِ هَذا فَلْيَعْمَلِ العَامِلُونَ. ثم إنها امرأة من عامة الناس لا يُؤْبَهُ لَهَا، وهى ماتت ولم يَعْلَمْ بموتها الحبيب المصطفى، فلما عَرَفَ كَرَّمَ خَدَمَ المساجِدِ فى شَخْصِيَّتِهَا. فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِى الأبصار.

النساء. والصبيان. والمساجد

الصبى هو رجل المستقبل، وأمل الأمة فى غدها المشرق، وهو بسمة الرضا على شفاه الناس، إنْ كان متعلمًا مهذبًا متدينًا متخلقًا بالخلق الكريم ونُشِّئَ على العقيدة الصحيحة والإيمان القوى ـ سَعِدَتْ به الأُمَّة، وتبوَّأَ المجتمعُ به مكان التقدم والازدهار تحت شمس اللّه وعلى أرضه.

والمرأة نصف المجتمع، ولها مكان الريادة فى تربية الأولاد، يرضعون منها لبان العلم والمعرفة إنْ كانت عالمة عاقلة، عارفة بأحوال المجتمع. وهى التى تصنع الأبطال، وتقدم للأمة القادة فى كل مجال، ومن هنا لم يهمل الإسلام رعايتها، ولم يغلق المسجد فى وجهها، وإنما أفسح لها مكانًا فى المسجد باعتباره جامعة علمية يُؤَهِّلُ مَنْ يتردد عليه بالمعرفة الصحيحة والفهم العميق، والثبات على المبدأ، والاعتماد على اللّه، مع التربية الصحيحة السليمة.

جاء فى صحيح البخارى ما نصه: حَدَّثَنا يوسف بن موسى، حدثنا أبو أسامة، حدثنا عبيد اللّه بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر قال: «كَانَت أمْرَأَةٌ لعُمَرَ تشهدُ صلاةَ الصبح والعشاء فى الجماعة فى المسجد، فقيل لها: لمَ تَخْرُجِينَ وَقَدْ تَعْلَمِينَ أَنَّ عُمَرَ يَكْرَهُ ذَلكَ ويَغَارُ؟ قَالَتْ: «وما يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْهَانِى؟» قَالَ: يَمْنَعُهُ قَوْلُ رَسُولِ الله ﷺ: «لا تَمْنَعُوا إِمَاءَ الله مَساجِدَ الله». حدثنا إبراهيم بن موسى قال أخبرنا الوليد قال: حدثنا الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير، عن عبد اللّه بن أبى قتادة، عن أبيه قتادة، عن النبى ﷺ قال: «إنى لأَقُومُ فى الصَّلاة أُريد أن أَطَوِّلَ فيها فأَسْمَعُ بُكاءَ الصَّبِىِّ فأتجوزُ فى صَلاتى مما أعلم من شدةِ وَجْدِ أُمِّه من بكائه».

وفى رواية أخرى عن أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ يقول: ما صليتُ وراءَ إمام قَطُّ أخفَّ صلاة ولاَ أتمَّ من النبى ﷺ، وإن كان لَيَسْمَعُ بُكَاءَ الصبى فَيُخَفِّفُ مخَافَةَ أن تُفْتَنَ أُمُّه.

وإذا كان هذا من رحمة النبى ﷺ وعطفه، فهو تعليم للأَئمَّة وإرشاد وتوجيه عملى، وفيه دليل على أن المرأة كانت تذهب ومعها صبيها الصغير، لكى تُعَوِّدَهُ وتُدَرِّبَهُ من الصغر على التردد على هذا المكان الذى رُفِعَ باسم اللّه، ووقف الجميع تحت شعار الإِخُوَّة والمساواة والتآلف. وقد ورد حديث فى صحيح البخارى عن ابن عمر رضى اللّه عنهما، عن النبى ﷺ، قال: «إذَا استَأْذَنَكُم نِسَاؤُكُم بالليل إلى المسجد فَأْذَنُوا لَهُنَّ».

وفى رواية أخرى عن ابن عمر ـ رضى اللّه عنهما ـ عن النبى ﷺ: «ائْذَنُوا لِلنِسَاءِ بِاللَّيْلِ إلى المسَاجِد».

إن رسالة السماء ووحى اللّه ـ سبحانه ـ لم يفرق فى الأمور الدينية بين الذكر والأنثى كما فعلت بعض القوانين الوضعية فى البلاد التى تَدَّعِى أن لها قدمَ السبق فى الحضارة، ثم حالت بين المرأة والصبى وبين دور العبادة، لكن الإسلام فتح أبواب أماكن عبادته لمن صَفا قلبه من الشرك، وصَحَّتْ عقيدته أن يتردد على المساجد يتزود منها الخير، ويلتقى مع المسلمين الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر اللّه، وهم قوم يعيشون فى الدنيا لتسعد بهم؛ لأنهم أصحاب منهاج عظيم وخُلق كريم.

أثناء عملى بالمساجد دَخَلَ علىَّ أحَدُ الناس وهو يرفع صوته ويقول: لابد أن نعمل على منع الصبيان من التردد على المساجد ـ قلت له: هَوِّنْ على نفسك واجلسْ حَدِّثْنى فقال: لقد سمعتُ حديثًا: «جَنِّبُوا مَسَاجِدكُم صِبْيَانَكُم». قلت له: هذا حق لا نختلف فيه، لكن يجب أن تعلم أن سيد الخلق ونبى الرحمة كان يصلى وأَمَيْمَة بنت زينب ابنته على عاتقه. وأحيانًا كان يطيل السجود بالناس فيسأله البعض عن السبب فى الإطالة فيقول: إنَّ ابْنِى ارْتَحَلَنِى فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ، وأما الحديث الذى ذكرته فهو أن تجنب المسجد من الصبيان الذين يخشى منهم أن يُحْدِثُوا فى المسجد. ويُلوِّثُوهُ، أو يتسببوا فى الشوشرة على المصلين.

أما إذا كان الولد يتردد على المسجد لحفظ القرآن أو الصلاة أو التعلم والتفقه فى أمور الدين فهذا من الأمور المرغوب فيها؛ لأن تردد الولد على المسجد منذ نعومة أظفاره يجعله ينمو نموًا لامشاكل فى حياته، ولا تعقيد أمامه، ولا اضطراب فى نفسه، ويُثبت قلبه على الإيمان؛ لأن مرحلة المراهقة من أخطر المراحل فى حياته، فهو عند بلوغه يكون قد حَصَّنَ فؤاده، وثبت يقينه، فلا قلق ولا اختلال، ولا أوهام سيئة؛ لأنه فى المسجد يجد المناخ الطيب والجو الدينى والمجتمع الطاهر، فتتأصل فى نفسه أمور العبادة وآداب التعامل وشدة المراقبة للّه، فيكون عضوًا سليمًا فى مجتمعه، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويشب فى عبادة اللّه، ويَصْدُقُ فيه الحديث بأنه من السبعة الذين يُظِلُّهُم اللّه فى ظِله يوم القيامة، ومنهم شابٌّ نشأ على عبادة اللّه.

إن الأمة التى تشكو من جنوح الشباب فيها وعدم التزامهم بالقيم الخلقية، وانتمائهم إلى تشكيلات سرية، ثم اندفاعهم إلى أعمال لا تتفق وحدود الشريعة وتعاليم الإسلام، مردُّ ذلك كله أن الأولاد لم يجدوا اليد الحانية من هدى الإسلام، وبُعدهم عن المدرسة العظيمة، فنَشئُوا فى فراغ دينى، وامتلأ قلبهم بالأوهام، والعقل إذا لم يُغذَّ بالمعرفة الصحيحة والعلم النافع مُلِئ بالباطل الذى يروج وينتشر فى غياب الحق ورجاله، فَلْنُوَجِّهْ أولادنا من الصغر إلى المسجد، ولننشئ أطفالنا على التعلق بالمسجد، وأداء العبادة بين جدرانه، وليلتحموا بالرواد الأتقياء؛ لأنه جاء فى الحديث: «مثَلُ الجَليسِ الصَّالِح والجليس السُّوءِ كَصَاحِبِ المِسْكِ ونافِخِ الْكِيرِ...». فانظر ـ رعاك اللّه ـ إلى ولدك وماذا تحب أن يكون فى مجتمعه، وأمامك تلك النصيحة القرآنية: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[1]. فادفع بولدك إلى المسجد ليتعلم ويتأدب.

يقول الرسول ﷺ: «عَلِّمُوا أَوْلادكُمُ الصَّلاَةَ لِسَبْعٍ وَاضْرِبُوهُمْ عليها لِعَشْرٍ». ألا فلنتجه إلى المسجد نُرغِّب فيه أولادنا، ونعلمهم التردد عليه، حتى نضمن لهم حياة البهجة والسعادة والاستقرار.

والمرأة إذا كانت صلاتها فى بيتها أفضل فإنها لا يمنعها أحد من التردد على المسجد إذا خرجت بملابس ساترة للجسد ودون أن تمس مِنَ الطِّيبِ الذى يلوى الأعناق إليها، وتذهب وتعود فى سكون وخشوع، والرسول ﷺ يقول فيما رواه النسائى عن أبى هريرة رضى اللّه عنه: «خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا وَشَرُّهَا آخِرهَا. وخيْرُ صُفوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا وَشَرُّها أوَّلها».

وفى حديث أبى داود عن أبى سعيد الخدرى، أن رسول الله ﷺ رأى فى أصحابه تأخرًا، فقال لهم: «تَقَدَّمُوا فَائْتَمُّوا بِى، وَلْيَأْتَمّ بِكُم منْ بَعدكم، لا يَزالُ قَوْمٌ يتَأَخَّرُونَ حتى يُؤَخِّرَهُمُ الله».

وفى هذا تنبيه وتوجيه وإرشاد للرجال أن يتقدموا فى أول الصفوف، ثم

(١) سورة طه ـ من الآية ١٣٢.

يكون الصبيان من ورائهم، ثم النساء، وخير صف النساء الأخير. . ثم تسرع المرأة إلى بيتها بعد الصلاة مباشرة، ويتأخر الرجال قليلا فى المسجد حتى يفسحوا الطريق للنساء. ولا يكون هناك اختلاط بين الجنسين.

وإذا كانت المرأة المتعلمة فيها أمل فى إيجاد أسرة سعيدة وبيت هانئ هادئ ترفرف عليه أعلام السعادة، وينتشر فى رحابه الأمن، ويشعر أفراده بالاستقرار، فإن المرأة المتدينة هى التى تُسْعِدُ الأُسْرَةَ والمجتمع؛ لأنها تعرف حقوق زوجها وواجباته، وتحرص على رعاية أولادها، وعدم إيذاء جيرانها، وصيانة لسانها عن التعرض لعيوب الآخرين بما تتعلمه من آداب الإسلام.

إن الدين هو صِمام الأمن فى حياة البشر لذلك يجدر بنا أن نعلمه لأولادنا وبناتنا، حتى يكون المجتمعُ فاضلاً متماسكًا. كما وصَفَ الشاعر رُوَّاد المسجد بقوله:

الله يَعْرِفُهُم رُوَّادَ مَسْجِدِهِ والنَّاسُ تعرِفُهُمْ للخيْرِ أَعْوَانَا
دُسْتُورُهَم لا فَرَنْسَا قَنَّنَتْهُ ولا رُوما ولَكِنْ قَدِ اخْتَارُوهُ قُرْآنَا

* * *